

افضع جرائم القرن التاسع عشر

(وقعت في يدنا هذه المجموعة التي تشتمل على بيان واف
لتسع جرائم ارتكبت في أوروبا في القرن التاسع عشر
واعتبرت بحق افضع جرائم ذلك القرن. فرأينا ان نلخصها
للقراء في قالب قصصى يعنى التفاصيل دون اطالة ولا تقصير
وقد نشرنا الاولى في العدد المماضى بعنوان « الواقع
بالجريمة » وهذه هي الثانية :)

٢ — مزيف النقود (١)

جاس رئيس البوليس السرى . أو كما يسميه الالمان « القوميسير الجنائى »
كارل ويان غارقا فى لجة عميقة من التفكير والتأمل فى قاعة عمله القائمة بما
يتدلى على نوافذها من ستائر ، كان جالسا يحرق الأرم أو كما يسميه اخواننا
الامر يكيون بحس نفسه « صغيرا » من فرط عجزه عن إيجاد حل لما كان
يفكر فيه ، ذلك انه وقد اتخذ الكشف عن غواض جنایات القتل والسرقة
وما اليها من جرائم مهنة خاصة له . قد ادت به الحوادث الى الصراع مع جماعة
أى عصابة من المزورين صانعى اوراق النقود (البنكنوت) المزيفة ، وكانت
كفته فى ذلك الصراع حتى تلك اللحظة هي الكفة الخائبة

مضت تسعة شهور على تلك العصابة وهى تزاول عمالها فى مهارة وحذق
وتدبير محكم دون ان يستطيع القوميسير الجنائى المحتك الاستدلال لأحد من
افرادها على اثر ، فكان يتخبط فى ابحاثه ذات اليقين وذات الشك وأوراقهم

(١) قد لا تخلو مطالعة هذه القصص من فائدة لرجال البوليس والاهتمامين بتتابعة البحوث
الجنائية على العموم (المغرب)

المزيفة من ذات الخمسة ماركات تغمر اسواق برلين وضواحيها ، ففي السبعة
الشهور الاولى من عام ١٨٧٩ لم يكن يمضى يوم واحد دون ان تتلقى ادارة
الأمن العام (مولسكنهاركت) في برلين ثلاثة بلاغات او اربعة عن العثور
على اوراق مزيفة ، ثم توقفت تلك البلاغات في الشهرين التاليين ، فلم يكن
توقتها هذا ليحمل القوميسير ويان على ان ينخدع ويعتقد ان عصابة المزيفين
قد توقفت نهائيا عن العمل وتركته إما عن خوف او لأن افرادها قد
امتلات جعبتهم وبلغوا حدا من الثراء لا يرغبون عليه من مزيد ، ولكن
القوميسير كان يعلم أنهم انما وقفوا اعمالهم مؤقتا قصد تقوية مراكزهم
وتدعيم عملهم ، أو ليصلحوا بعض العيوب التي بدت في بضاعتهم وأولها
وأهمها اللون الازرق الذي كان يستعمل في التظليل حيث كان في الاوراق
الرائجة اكثر حلكة منه في الاوراق الاصلية ، وهذا على الرغم من أن
الاوراق المزيفة كانت متقنة الى مدى بعيد لا يستطيع تمييزها الا خبير ماهر
مدقق ، وهذا أيضا في ضوء شديد ، وقد استطاع مروجو هذه الاوراق
ان يتفادوا خطر اكتشافها بأمرين : الأول أنهم كانوا يختارون ضحاياهم
من بين فئة صغار التجار ، والثاني أنهم كانوا يتحينون لتوزيعها إما وقت
الضحى او قبيل الغروب بقليل او بعده في المتاجر التي كان الضوء فيها ضعيفا
ثم أضف الى ذلك أمرين آخرين : اولهما ان الاوراق المزيفة كانت من
فئة الخمسة الماركات (حوالى خمسة وعشرين قرشا مصريا) وهى قيمة ضئيلة
لا تدعو الى كبير حرص وتأمل ، وثانيهما ان فئة الضحايا من جماعة صغار
التجار ومن اليهم لم تكن تتداول في عدد كثير من الاوراق الاصلية حتى
تستطيع التمييز بينها وبين الزائفة

ومع ان السلطات لم تنجح في القبض على فرد واحد من هذه العصابة
وهو متلبس بجريمته ، فإن القوميسير ويان لم يكن خالي الذهن بل انما من
الاشتباه في شخص رئيس العصابة أي المزيف الأصلي ، على ان اشتباهه لم
يكن في الواقع قائما على أساس غير مجرد الظن والحدس ، فإنه لم يكن لديه
أقل دليل مادي ضد الرجل الذي يشتبه فيه رغم ما كان يدعم هذا الاشتباه

من قرائن تنحصر في أن المشتبه فيه قد سبق أن حكم عليه مرات متعددة في جرائم مماثلة، ولسكنه من هذه الوجهة واحد من كثيرين من مجرمي هذا النوع المعروفين لإدارة الأمن العام في برلين، وإن كان يختلف عنهم في مهنته حيث هو حفار نحاس ماهر، متفوق على أقرانه بمراحل عدة، وكان البوليس السري يتتبع خطواته أينما سار، ولكنه استطاع أكثر من مرة تضليل مراقبيه والافلات من رقابتهم والاختفاء عن انظارهم مدداً تختلف طولا وقصرا كيفما شاء وأنى ما أراد

كان «لومينتز» — وهو اسم ذلك الرجل المشتبه في أنه المزيف الأصلي — يناهز الستين من العمر، قضى خمسا وعشرين سنة منها في سجون مختلفة في جرائم تزيف اوراق العملة، وحدث مرة وهو يقضى المدة المحكوم عليه بها في احد السجون أن وضع خريطة حربية مخفورة بمنتهى الدقة وقدمها للسلطات الحربية العليا مع مقياس دقيق للمدفعية تبين لوزارة الحربية البروسية تفهمها العظيم فأجازته عليهما — وهو سجين — بمكافأة تسعة جنيهاً، وبالجملة فقد كان لومينتز احد اولئك المجرمين الذين يجهد الروائيون انفسهم لاختراع شخصية مثل شخصيته فيصورون ما هو أقل منها خوف اتهامهم بالمغالاة وعدم تصديق قرائنهم لهم فيما يخترعون

ظل لومينتز ستة أشهر تحت رقابة صارمة من أعوان القوميسير ويان الذي — رغم اعتقاده الجازم باشتراك لومينتز في حوادث التزيف الأخيرة — لم يشأ أن يشعره باشتباهه فيه لأسباب كثيرة: فأولا وقبل كل شيء، كان ويان يريد أن يصحب قبضه على لومينتز حصوله على جميع أدوات التزيف وآلاته ومواده، ومما لا يحتاج الى بيان أو تدليل أن الادوات والآلات والمواد لا يمكن أن تكون موجودة في أحد المسكنين اللذين أقام فيهما لومينتز في المدة من يناير الى يونيو سنة ١٨٧٩، والسبب هو أنه لا ريب في أن العصاة تتألف من أشخاص عديدين، ولا مشاحة كذلك أن

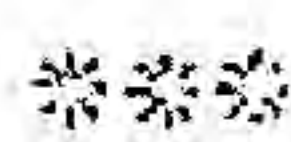
لها نظاماً محكماً ينفذ بمهارة فائقة ودقة مشهودة ، ومع ذلك فإنه لم يعرف عن لومنيتر أنه يجتمع مع أحد سواء في داخل منزله أو خارجه كل مدة رقابته في الستة الأشهر المشار اليهما ، بل لم يعلم عنه أنه تكلم - مجرد كلام !! - مع أحد ممن يمكن أن يكون موضع شبهة لدى البوليس من أى وجه من الوجوه ، بل أن الذي كان معروفاً للبوليس عن لومنيتر هو أنه كان يعيش في عزلة هادئة ، يربى أسبابها له ولداً وهما من أصحاب المراكز الاجتماعية المعروفة ، ويتمتعان بثقة واحترام عارفيهما .

ورغمما عن كل هذا فقد كان القوميسير ويان مصراً على رأيه من وجود لومنيتر على رأس تلك العصابة !!
وبينا هو يضرب أخماساً لاسداس اذ يخفى لومنيتر ولا يعثر له على أثر

مضت ثلاثة شهور على اختفائه ولما يستدل له على أثر ، وكان أعوان القوميسير ومساعدوه قد قلبوا برلين رأساً على عقب خلال تلك المدة أكثر من مرة ، وفتشوا ضواحيها بيتاً بيتاً .

وفي نفس هذا الوقت حدث انقطاع ظهور الاوراق المزيفة ، ولكنى قد أخبرتك من قبل بما ارتآه « ويان » عن هذا الانقطاع ، فقلت لك أنه لم يخذع نفسه وبحماتها على اعتقاد أن المزيفين قد عدلوا نهائياً عن عملهم رهبة من نتائج ، أو رغبة عنه بعد امتلاء بطونهم ، وعلى ذلك كان اتفاق عدم ظهور لومنيتر في تلك المدة مع عدم ظهور الاوراق الزائفة دليلاً قوياً يدعم نظرية « ويان » ، في رأيه على الأقل

على أن الفشل الذي لازمه كل تلك المدة في تحرياته حرى بأن يدخل اليأس الى قابه ، ولو حيناً بعد حين ، حتى أن رأيه قد استقر أخيراً على أنه ان يسعده الحظ بصدفه حسنة فإن كل اتعابه لا بد ذاهبة أدراج الرياح



قلت لك أن القوميسير ويان كان جالساً يفكر ، فهذا كان بعد

ظهر أحد أيام شهر أكتوبر ، وكان هذا أيضاً في دار إدارة الأمن العام في برلين (وهي تقابل حكمدرية البوليس عندنا) ، وهي عبارة عن أظلم بناية شادها فنان مظلم !! تتألف من عدة طرقات طويلة ، ذات أسقف كثيفة وجدران معتمة ، وغرفها لا يكاد مصباح الغاز يطنأ فيها الا ليعبأ ، وأرضها من الأسفلت العاري عن غطاء حتى من تيل أو خشب إلا بقدر موطىء القدم من المكاتب ، وهذه الحلكة وتوابعها هي التي طالما أذهبت آمال زوار إدارة الأمن العام ، حتى اذا كانوا من الأبرياء دفعتهم تلك الظواهر الى فقدان الأمل بالخروج أحياء ، بل أنهم اذا خرجوا أحياء فلأنهم لا بد مجنونون

وأنكى هذه الأمكنة جميعاً هي غرف التحقيقات الجنائية ، التي كان جالساً في احداها القوميسير ويان يندب فشله

وكان في تلك اللحظة « نوبتجيا » ، يحضر الى المكتب من الساعة الثانية بعد الظهر ويبقى فيه الى ظهر اليوم التالي ، وينظر خلال تلك المدة في جميع الحوادث التي تتصل بالأمن العام ، مطلق الحرية في تصريحها على الوجه الذي يراه

نستميع القاريء لحظة نشرح له فيها نظام العمل في « حكمدرية » بوليس برلين حتى يكون على بينة من سير التحقيقات في الحوادث الجنائية ، فنقول ان رئيس فرقة البوليس السرى في برلين حاصل على سلطة اوسع نطاقاً مما هي في جميع الممالك والبلدان ، هو قاض بحكم على المتهمين بقدر ما هو محقق وضابط مباحث ، وفضلاً عن أنه يحقق مع من يتقدم اليه من المتهمين دون أن يحذرهم من ان مايقولونه امامه قد يؤخذ حجة عليهم ويعتبر اعترافاً قضائياً منهم فإنه ينصب من الجبائل للحصول على هذه الاعترافات مالا تبيحه كثير من قوانين تحقيق الجنايات في البلاد الأخرى

وفي برلين ثلاثون قوميسيرا مثل ويان ، يتناوبون العمل في إدارة الأمن العام كل واحد منهم يوماً في الشهر ، ولا يمنع أن يكون أحدهم نوبتجياً ان يكون في الادارة اكثر من واحد منهم دائماً ، بل أنهم جميعهم قد لا ينقطعون عن

الحضور الاقايلا، وفي الواقع فهم لا ينقطعون الا حيث يكونون في أثر مجرم أو خارق للقانون أو خارج عليه ، وتجد الذين يترددون منهم على ادارة الأمن العام أثناء فراغهم من النوبة تجية وعدم وجود من يلاحقونه من المجرمين تجدهم يعملون على دراسة المجرمين من المحكوم عليهم أو المقبوض عليهم ، لاسيما اولئك الذين يتعدد ارتكابهم لجريمة واحدة ، ويحكم عليهم بسببها اكثر من مرة بمقوبات فلا يزدجرون

وستري في سير البحث عن المزيفين في هذه القضية والتحقيقات التي يقوم بها القوميسير ورجال ادارة الأمن العام طرفا من العمل المباح لهذه الفئة من حفظة الأمن في برلين



قطع على القوميسير حبل تفكيره بدخول ضابط يحمل كومة من الاوراق الخاصة بفئة من المقبوض عليهم في ذلك اليوم من جميع احياء برلين، وقد تلقى الاوراق من الضابط وهو لما يفق بمد تماماً من لجة تفكيره في عصاة التزييف. وأخذ يقلب « المحاضر » فقرأ حوالى نصفها فأذا هي من الحوادث العادية التي يختص بالتصرف فيها من هم دونه ويكفي توقيع منه « بالأطلاع » عليها لتسير سيرها الرادى

ونجاة قفر ويان من مقعده ، واعاد قراءة « المحضر » الذي استنارده ، وكان هذا نصه .

« يوليوس بارت ، عمره ٢٢ سنة ، بناء ، قبض عليه واحضر الى نقطة بوليس « مجدبرج » لمحاولته صرف ورقة بنكنوت من ذات الخمسة ماركات زائفة، ومما يؤيد احتمال كونه عالما بتزييفها انه حاول الفرار تاركاً النقود وراءه عندما رأى العامل في محل التجارة الذي قدمت اليه الورقة يفحصها بدقة ، فلاحقه البوليس والتى القبض عليه واحضره الى انا محققه (التوقيع ج . تيمر — ضابط بوليس مجدبرج)

ويؤخذ من التحقيق الذى قابله ضابط البوليس ان المتهم انكر علمه

بالتزييف بتاتا ، وزعم أنه تلقى الورقة الزائفة من صراف حديقة الحيوانات الذي « صرف » له « قطعة ذهبية بمشرين ماركا

يسمح لنا القارئ مرة ثانية بخروج عن موضوع القصة ، ذلك أن هذا الحادث لو كانت وقعت عندنا نحن في بوليس القاهرة مثلا ، فإن المتهم كان يحجز في القسم الى الصباح ، ثم تعرض على الأمور ، فأما ان يحضر المتهم أمامه او يحيله على ضابط من مرؤوسيه ، وحتى اذا عرضت على النيابة فالثابت المؤكد أنها ما كانت تصادف من العناية أن يسار فيها بالتحقيق إلا على سنن مواعيد العمل ، ولا تكاد تمضي بضع ساعات حتى يذاع الخبر في الصحف ويصل الى آذان زعماء العصابة فيأخذون حيطتهم ، وما ذلك إلا لأنه ليس عندنا ، ولا في كثير من الممالك الأخرى ، موظفين لهم من السلطة مثما للقوميسير ويان — لا أرمى بهذا الى النقد ، وإنما أنا أقرر الحقيقة الواقعة



وفي الحال أمر القوميسير بأحضار يوليوس بارت أمامه ، وما كاد يلقى عليه نظرة فاحصة حتى تبين له انه حديث عهد بالأجرام ، وقد كان بارت مرتديا ملابس عادية ، نظيفة ولكنها تدل على انه من الطبقة الفقيرة . ، فأدرك ويان انه لن يصادف صعوبة تذكر مع هذا المجرم الحديث ، ولم تمض برهة قصيرة حتى جعله يقر له بالحقيقة ، فأذا هو قد مضى عليه وقت طويل دون عمل ، واثاء بحثه عن عمل يتعيش منه . تعرف بزميل له نقاش ، فجعلا يجوبان الأرض سويا باحثين عن عمل ، ومضت عليهما بضعة اسابيع رأيا شبح الموت جوعا خلالها مرات متعددة ، ويوما شاهد بارت صديقه « مولر » يتسهم على غير عادته ، ثم دعاه الى تناول العشاء وسقاه كأسا من خمر جيدة أنعشته قليلا ، وبالجملة كان « مولر » كأنه وقع على كنز أو ميراث . فسأله صاحبه وهو يحاوره . « من أين لك هذه الفلوس أيها الصديق ؟ » فلم تكن من الصديق المحاولة (بسيطة) لم يلبث بعدها ان اعترف لصديقه انه اضطر لاحتراف تبصريف الورق النقدي الزائف ، وقال لصديقه انه يحصل على البنكنوت

المزيف من شخص لا يعرف عنه حتى اسمه أو محل إقامته ، وإنما هو يقابله في ساعات معينة ، وجهات وأيام معينة كذلك واعترف بارت كذلك على والد صديقه مولر وعلى صاحب المنزل الذي يقيم فيه وقال :

« ولكننا اضطررنا لاييقاف العمل منذ عدة شهور لأنه ظهر ان أحد الألوان كان أشد قتامة من اللون الأصلي »

وختم بارت اعترافه بقوله « وذلك الرجل الغريب الذي كنا نتلقى منه الورق لم يكن يحصل عليه من المزيقين الأصليين رأساً ، وإنما كان هناك وسيط آخر »

نفسه من هذه الأقوال تبين لويان أن حدسه قد صدق في أمرين : (الاول) أنه حسب - على ما عرف القارىء - أن توقف صدور الورق المزيف كان فقط للعمل على اتفاق التزييف ، (والثاني) أن التاريخ الذي قرر بارت أنه اوقف ابتداء منه صدور الورق المزيف ينطبق تماماً على التاريخ الذي ذكر فيه مراقبو «لومينتر» انه اختفى فجأة عن الانظار ولم يعثر له على أثر...!! إذن فهذا دليل قوى - يرتكز عليه ويان على الأقل في تعزيز نظريته عن اشتباهه في لومينتر واشتغاله في مدة اختفائه باتقان التزييف

وحينئذ عرض ويان الامر على مدير إدارة الأمن العام في برلين كما تقتضى التقاليد التي هي بمثابة القانون ، وأقره هذا على مواصلة أبحاثه واتخاذ ما يراه من الاجراءات لاكتشاف رموس العصاة ، لا سيما المزيف الأصلي ، وحثه على أن يوالى أبحاثه في طي الكتبان ، لم ير ويان بدا من القبض على مولر وأبيه لانه إن لم يفعل هذا فعله قاضى التحقيق (وهو يقابل النيابة عندنا) وفضلا عن ذلك فان القبض على هذين الشخصين لن يعرف عند رؤساء المصابة وكل ما في الامر أن الوسيط الذي كان يمد مولر بالنقود الزائفة عند ما يتفقداه فلا يجده لا يسىء الظن لاول وهلة بل قد يحسبه وجد عملا ففضل عدم الاستمرار للتعرض لخطر تصريف النقود الزائفة ، أضف الى هذا أن القبض على مولر قد يؤدي الى القبض على الوسيط ، فوسيط الوسيط ، فالزيف الاكبر...!!

ولكن سرعان ما خاب هذا الامل عقب القبض على المولدين !! . . . !
 صحيح ان انكارهما للمجرمة وزعمهما بأن اعتراف بارت عليها إنما هو محض
 اختراع وكذب عليهما لم يدم طويلا حتى اعترفاهما الآخران . ووصف مولد
 (الابن) الرجل الغريب الذي كان بمده بالنقود المزيفة . فقال انه « يناهز
 الاربعين من العمر ، معتدل القامة ، متناسق الاعضاء ، لا هو بالطويل ولا
 بالقصير ، ولا بدنة ولا هزيلا ، وخط الشيب شعر رأسه وشاربه » . . .
 ولكن هذه الاوصاف تنطبق على بضعة آلاف من سكان العاصمة الألمانية . . .
 فلم يكن امام ويان خيط آخر يمسكه من طرفه الا البيان الذي جاء على لسان
 مولد في التحقيق عن المسكان الذي كان يقابل فيه ذلك الوسيط ، والطريق
 التي اعتاد القدوم منها اليه



أحضر القوميسير ويان جماعة من اعوانه ومساعديه وألقى اليهم بوصف
 الوسيط ، ومكان المذابة ، ووقتها ، والطريق التي يحضر منها ، وأمرهم
 بالحذر والكتمان وعدم إزعاج الوسيط في حالة العثور عليه ، فلم تمض بضعة
 أيام حتى عاد أحد أعوان ويان اليه ، يقول له ان احدى العجائز « الراويات »
 اخبرته ان هذه الاوصاف تنطبق على شخص يقيم في تلك الناحية يدعى
 « كومان » وانكها لا تعرف ماذا يشتغل . . . وبالرجوع الى دفتر الأجرام
 وسجلات المجرمين عرف ويان أن كومان هذا زبون من زبائن السجون
 وقد حكم عليه عدة مرات في جرائم نصب وأفلاس بالتدليس ، وهكذا لم
 يكن كومان من المجرمين الحديثي العهد بالأجرام ، وعلى ذلك يجب ان تجرى
 الرقابة عليه بحذر شديد

ورغما من ذلك فقد كان ويان يعتقد تمام الاعتقاد أنه لم يعرف جزءاً
 واحداً من عشرة أجزاء عن هذه العصابة ، فقرر القيام بنفسه وبمساعدة اثنين
 من أمهر أعوانه بمراقبة كومان ، فتخفوا ثلاثتهم في هيئة أشرار من الفئة
 المتسكعة ، وأمعنوا في هذا التخفي الى حد ان ضلوا البوليس الراكب ، فكان

يطارد هم وهم يفرون أمامه. في حذق الاشقياء المعتادي الأجرام ، وجعلوا يلقون بأنفسهم في طريق كومان ويتابعونه ويلاحقونه أنى سار. وحيثما وجدوا ولكنهم لم يفوزوا. منه بظايل إما لأن القبض على مولر قد أثار شكوكه فجعله يقف موقف الحذر ، وإما أن يكون ويان قد أخطأ في أبحاثه واستنتاجاته ولم يكن كومان هو الشخص الذي وصفه له مولر كأن يكون مشابها له. وهذا محتمل جداً الاحتمال ، وحينئذ بدأ ويان يسأل نفسه عما إذا كان قد أخطأ في القائه القبض على شركاء بارت بمثل تلك السرعة الفائقة قبل أن يعرف الوسيط — أو وسيط الوسيط على الأصح — الذي كان يمدهم بالأوراق الزائفة

ولكن أمراً واحداً هو الذي كان باقياً لاستثارة الشك في كومان، ذلك أنه كان لا يعمل أى لا يشتغل في حرفة أو مهنة ظاهرة يتكسب منها ، وهو لم يكن من أهل اليسار والثروة ، ومع ذلك فقد كان مظهره يدل على أنه في سعة من العيش ...

وقد استغرقت أبحاث ويان ومساعديه أسبوعاً كاملاً، ولم تتقدم القضية خطوة واحدة إلى الأمام ... فلم يجد القوم ميسير بدا من تغيير الخطة التي رسمها لأبحاثه ، واستقر رأيه على أن يخطو خطوة جريئة ، وهي خطوة جريئة حقاً تلك التي يتقدم فيها رجل البوليس السري — مهما كان ماهراً في التخفي — على أن يتصل بشخصه مع المجرم أو المشتبه فيه ، لا ياجأ إليها إلا في الأحوال التي يبدأ اليأس بنحيم على المباحث الأخرى، وقد عهد القوم بمسير هذه المهمة إلى رجل من أقدر رجاله من من يشار إليهم بالبنان في مهنة البوليس السري فخلد اسمه في سجلات بوليس المانيا، ذلك هو الضابط «فيلدو»

قبيل الغروب في أحد الايام بعد ثلاثة أيام أو أربعة من الحوادث المتقدمة دخل شاب طويل القامة ممتلئ الجسم تدل هيئته على أنه سباك — دخل إلى بناية من أشهر حانات اللصوص وقطاع الطرق في حي كونيغز ناد ، وهذه الحانة عبارة عن قاعة فسيحة صفت في أنحائها عدة موائد على نحو ما ترى

بعض الحانات التي تؤمنها الطبقة الدنيا في القاهرة . بل هي أقرب الى طرل حانات الريف القريبة من محطات السكة الحديد ومنازل الموظفين لأنه كان في وسطها طاولة للعب البلياردو أكل عليها الدهر وشرب ، وفي زاوية منها موضوع بيانو . لا يتميز له لون من فرط قدمه ، والمقاعد جميعها خشبية وبعضها فاقد جزءاً أو أجزاء متعددة حتي ليحسب علي السليم ما كان ذا ثلاثة أرجل منها ، وهي بالجملة قد كانت حانة حقيرة ، وكان في آخرها باب تظهر منه غرفة صغيرة مهجورة غير ذات شأن

وما كاد هذا الشاب يخطى عتبة الجانة حتى توقف الثمانية زبائن الموجودون فيها عن مواصلة حديثهم كأنما يفعل السحر . وجعل الأربعة منهم الذين كانوا يلعبون البلياردو ويستندون في لعبتهم فيما يشبه الصمت المطبق ، بينما كانت الأربعة الآخرون الجالسون الى طاولة — وهم عبارة عن رجل يقارب نهاية الحلقة الخامسة من عمره أو تخطاها بقليل ، وفتاة مظهرها أكبر من مخبرها وزجلان متوسطا العمر ، فهدلا اللباس — كانوا قد خفت صوتهم الى ما دون الهمس

ولم يظهر علي « السباك » أنه أعار ذلك السكوت الفجائي ، أية التفاتة ، بل بالعكس تبين أنه لم يلاحظه ... وقد جعل ينفض الوحل من نعليه من أثر الامطار ، وكذلك تقض ملابسه ، ثم وضع حزمة « الغدد » التي معه فوق أقرب طاولة الي الباب وجلس عليها ... وطاب كأس خمر من وطنية المانية تسمي « نورد هوزر شنابس » ... علي أنه لم يطاها بهذا الاسم الا ربستوقراطي بل طابها باسمها البلدي الوطني (البلدي) نورد تحت ... ولو كان فعل غير ذلك لأظهر نفسه أنه من غير أهل الطبقة التي تدل عليها ثيابه وهيئته ... وبالرغم من هذا الذي ظهر به ... والدليل الذي قدمه علي أنه من عامة الشعب

الصناع البسطاء ... فان الشعور الذي أثاره دخوله علي تلك الجماعة لم يفارقهم في مثل السرعة التي لا يسهم بها ... واستمروا يتبادلون الاشارات والغمزات والاستفهامات ... بيد أن النتيجة النهائية لاختبارهم هذا القتي للغريب

كانت في مصلحته ، حيث حكموا له بما أراد أن يظهر به من بساطة ... يدلك
علي ذلك استئنافهم لحديثهم الذي قطعوه عند دخوله ... في طمأنينة وارتياح .
ذلك أنهم قد استقر رأيهم على أنه رجل « عامل » ، لا شأن له بالتعرض
لشئون الناس ... ولم يدفعه إلى جانبهم الا قسوة الطقس ... فلم يعودوا هم
الا آخرون يحذرون منه الا كما يحذرون من الرجل العاوى الغريب عنهم

وقد تأيد اطمئنانهم هذا بدخول أحد رفاقهم عليهم بعد وصول الفتي
للقريب بعشر دقائق ، والذي ما كاد يدخل حتى استقبلوه بالترحيب والاعتباط .
ولو أن القوم ما زالوا على سوء ظنهم بالسباك فخدجوه بنظرة فاحصة في تلك
اللحظة لرأوا آثار الانشراح والسرور تضيء وجهه لوصول رفيقهم الجديد
فان هذا القادم — الذي كانوا ينادونه « الفارس ولیم » — لم يكن سوى
« كومان » وبعد قليل من دخوله ظهر السبب في اغتباط
رفاقه لمقدمه فقد كان محبوباً لديهم لكرمه الحامى !!!
فانه ما كاد يحتويه مقعده حتى طلب « دورا » لأخوانه . . . كل مما
يشرب . . . وجعل يحادثهم في بديهة حاضرة ونكتة رائعة ، وهم يتلقون
أقاصيصه المسلية في فقهية عالية تم عن سرور غير مصطنع . . . كل هذا
والسباك يقلب « عدده » بين يديه الفينة بعد الفينة . . . شأن من لا يعرف
كيف يقتل وقته

كانت الامطار تهطل في ذلك اليوم سيلا مدرارا ، ولكنها كانت في
اللحظة التي تجرى فيها الحوادث التي ذكرنا قد أخذت تسكن . . . وكانت
كأس السباك قد مضى عليها فارغة اكثر من ربع ساعة ، أليس محتملا أنه
لم يكن معه ثمن كأس أخرى ؟ وكانت أنظاره لا تكاد تفارق الطاولة
الأخرى حيث كان الاخوان الخمسة مستمرين في الشراب بلا انقطاع . . . فما
أن لاحظ « الفارس وايم » ذلك حتى هب من مقعده وتوجه نحو السباك
ونقل له في صوت العامل الصديق :

— لقد أنسا بك يافتي . . . لعلك بخير ؟

فرك السباك إحدى أذنيه بيده وقال لصاحبه فيما يحاوره أن « الشغل »
ليس على ما يرام . . . وانه — أى السباك — سوف « يشطب » عمله في
الغد ، ولا يدري ماذا يكون بعد . . . فأمالو استمر الطقس الرديء على ما
هو عليه فإنه لا يأمل أن يجد عملاً لمن عامه عند علام الغيوب ، وختم
السباك كلامه بقوله « ومعنى هذا ان أيام العطل السوداء ستعود . . .
وسبحان المدير . . . »

فكان جواب « كومان » على ذلك أن حلق في السباك بضع ثوان لم ير عليه
خلالها الا آثار الألم الذى يستحوذ على المرء في ساعات اليأس القاتلة . . .
وفي تودة أخرج السباك ثمن الكأس التى شربها وانتصب واقفا ليذهب . . .
وحينئذ دعاه كومان لشرب نخب تعارفهما . . . معرباله عن أحسن تمنياته
فى أن يجد شغلا حسنا . . . وحين أصبحت إحدى قدمي السباك خارج
الحانة وما زالت الثانية داخلها صاح به كومان ان لا ينقطع عن زيارته . . .
فقد يستطيع أن يجد له عملاً يساعده فى معيشته . . . فشكره السباك ومضى
انقضت خمسة عشر يوما وسويا والسباك ما يزال قبيل غروب شمس كل
يوم منها يعتقد مكانه من الطاولة المجاورة لباب الحانة ، وفى كل مرة كان
يجالسه كومان . . . والظاهر أنه أحبه وأعجبه ما كان يرى عليه من علام
البساطة حيث كان الفتى لا يفتأ يتقص تاريخ حياته وما صادفه فيها من حواف
على كومان ، بينما كان هذا يجب على ذلك السرد البسيط البريء بتلك
الاقوال المخموفة ، مثل « هكذا حال الدنيا » و « الذى على الدنيا يقاسى
همها » و « الحياة كفاح » الى غير ذلك من الالفاظ التى لاتسمن ولا تغنى من
جوع . . . على أنه — أى كومان — كان يقبل على دراسة الفتى السباك
دراسة عميقة من خلال كلامه حتى يثق من أنه امام عامل « بسيط » حقيقة
وليس امام مخادع ! !

وكان السباك يبدو مثقلا بالهموم يوما عن يوم . . . ولم يخف على
صديقه الجديد أن أثاث منزله أخذ يتلاشى شيئا فشيئا فى سبيل علاج زوجته

المریضة واولاده الأربعة الصغار . . . فكان « كومان » يتظاهر بالتأثر العميق ويتناول السباك حيناً بعد حين خمسة قروش او ما نحو ذلك مشيداً في عزيمته . . . وذات مساء بينما كان السباك علي وشك الرحيل من الحانة عرض عليه « كومان » أن يرافقه في الطريق قليلاً حيث كانت طريقيهما متحدة في مبدئها . . . وما كادا يخطوان خطوات خارج الحانة حتى سلط « كومان » على رفيقه بطارياته . . . فسأله في صراحة تامة عما اذا كانت له « سوابق » مطلقاً ؟ فغمغم السباك بين فكليه بضع كلمات غير واضحة . . . وحينئذ أعاد عليه « كومان » القول مبتسماً بأنه ليست به حاجة لأن يخفي شيئاً عليه . . . وليس في وجود السوابق لاي شخص كمان ما يحط من قدره ! ! وأنه هو نفسه — أي كومان — قد قضى أكثر من « مدة » بعيداً عن الحرية . . . فشجع هذا الكلام السباك علي الاعتراف بجرائمه فصرح لرفيقه انه قضى مدتين في السجن . الاولى خمسة عشر يوماً ، والثانية ثلاثة شهور ، وكانت إحدى الجريمتين اللتين حكم عليه من أجلهما أنه تغاضى عن سرقة نفر من زملائه بعض الأدوات من « عمارة » كان يشتغل فيها ، والجريمة الثانية من هذا القبيل . . . فضحك كومان للمرة الثانية وسأل السباك عما اذا كان ذلك كل ما في الامر . . . ولم يلبث ان قال له في معرض الاقتراح ان لديه عملاً له يعود عليه بربح زوج ثيلر (١) في اليوم . . . « ثيلران في اليوم ! ! » صاح العامل المسكين فافراً فاه . . . « ثيلران في اليوم ! ! كيف يمكنني الحصول على هذا المبلغ ؟ ؟ اني مستعد لتضحية كل شيء . . . اشتغل ليل نهار لا آكل ولا أمل كما تأمرني . . . أجابه كومان انه ليست به حاجة للاشتغال ليل نهار ، بل أنه لن يكذب مطلقاً للحصول على هذا المبلغ . . . ثم أخرج كومان من جيبه ورقة تقدم من ذات الخمسة الماركات وشرع يشرح له « كيفية الاستعمال » . . . ولم تمض برهة وجيزة حتي كانا قد اتفقا علي العمل « ، ثم افترقا علي أن يلتقيا في مساء اليوم التالي في الحانة المعهودة

(١) الثيلر . هو الريال الألماني ويساوي ١٥ قرشاً مصرياً (المغرب)

وبعد ثلاث ساعات من تلك اللحظة كان « فيلدو » ما زال بثياب العامل واقفاً لدى « ويان » في منزله يقص عليه تفاصيل ما دار بينه وبين « كومان » ليس شك في أنه لم يبق على ويان إلا أن يشدد الرقابة على كومان بينما يستمر فيلدو على القيام بدور السباك ، وأن يزعم هذا بدور أنه نجح في تصريف « البضاعة » ويعود إلى « المحسن » إليه بثمنها

وبعد ثمانى وأربعين ساعة على دخول فيلدو في عصابة كومان استطاع ذلك الضابط التقدير أن يبلغ رؤسائه انه على موعد لمقابلة الزعيم الاكبر لتلك العصابة في مساء اليوم التالى

وفى الموعد المحدد ذهب ويان يصحبه أحد ضباط المباحث ممن يصح وصفه بأنه أكثر خبرة وحكمة من فيلدو ، وتعباً « الموزع الاكبر » للاوراق الزائفة الى مقر سكنه دون أن يسعدا بمعرفة اسمه ... على أنه لم يمض وقت طويل حتى علم ويان أنه إنما ينازل شقيقاً عاتياً ، وأن ذلك الموزع الاكبر لم يكن سوى « هوبرت سينجبرج »

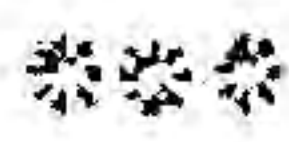
ثبت لويان انه سيوجد في سبانهجبرج خصماً عنيداً لا يستهان بقوته ، وكانت آخر جريمة ارتكبتها سبانهجبرج يرجع تاريخها الى تسع سنوات خلت ، أى قبل التحاق ويان بقوة البوليس السري ، وقد قضى سبع سنوات من هذه السنين التسع فى سجن سبانندو رفيقاً للومنيير ولو أنهما لم يكونا محكوما عليهما فى جريمة واحدة

وكان سبانهجبرج فى هذا الوقت يعيش مع زوج اخته الذي كان خبازاً فيما مضى من الأيام وجعل فى آخريات أيامه التى نحن بصدد منها يدير محلاً للقهار يؤمه الخبازون من جميع أنحاء العاصمة الألمانية

لبث « ويرنر » يراقب سبانهجبرج اسابيع عدة ، وكان يتعقب خطواته جميعاً خطوة خطوة متخفياً فى كل خطوة منها بزي مختلف عن سابقته . . . ذلك ان ويرنر هذا كان ماهراً فى التخفى لدرجة انه مازال يضرب بتخفيه المثل حتى هذه اللحظة فى بوليس برلين ، وأخيراً استقر رأى ويرنر على أن الاوراق

التي كان سبانبجبرج يوزعها على الوسطاء كانت تصل اليه على أيدي رسل
بواسطة إحدى المنازل العديدة التي كان يزورها

ولكن شهر نوفمبر انقضى بأسره وتلته بضعة أيام من شهر ديسمبر
وويرنر لما يصل الى سحابة تقوده الى واحد من اولئك الرسل ، على أنه تبين
له من البحث والاستقصاء ان سبانبجبرج كان يعيل كثيراً الى الجنس
اللطيف ، وإلى جانب هذا كانت غالبية النساء اللاتي يزورهن من الطبقات
الراقية في الهيئة الاجتماعية . ولا يمكن أن يشك احد في اتصالهن بأعمال
تزييف النقود وما اليها من جرائم هن في غنى عنها . . . وكانت أقربهن
اليه وأحبهن عنده — بدليل اكثاره من زيارتها — فتاة حديثة السن
تقيم مع أمها في المنزل ويدبر شئونهما معا أحد كبار صيارفة برلين المعروفين
واليلة أطال ويرنر رقابته على المنزل الذي تقيم فيه هذه الفتاة مع أمها
اثناء زيارة سبانبجبرج ، وهو منزل من تلك المنازل التي جري العرف
بتسميتها « عمارات » لكثرة ما احتوته من مساكن لعائلات متعددة ،
وبالرغم من ذلك فإنه لم يدخل أحد في « العمارة » تلك الليلة الا امرأة
واحدة عادت تخرجت منها بعد نصف ساعة من دخولها . . . وتابع ويرنر
تحرياته فلم يفتز منها بدليل أو شبه دليل على اشتراك الفتاة أو أمها في عصاة
التزييف بأي وجه من الوجوه . . . بل أن الخطابات التي كانت ترد لسبانبجبرج
لم تقلت من رقابة ويرنر . . . ومع ذلك فقد ثبت له أن هذه الخطابات جميعها
كانت نسائية



وانتصف ديسمبر ولما يعثر للومنيتر على أثر . . . حتى أولاده ما كانوا
يعرفون عنه شيئاً . . . فهل ابتلعة الأرض ؟ أو صعد الى السماء ؟ فعاودت
ويان شكوكه القديمة في خطئه في توجيه التهمة — أو الاشتباه علي الاصح —
نحو لومنيتر . . . ولكن كان توافق تاريخ اختفائه مع تاريخ اختفاء
الاوراق الزائفة ما يزال قائماً قرينة قوية ضده . . . وتنفس صبح اليوم

اليوم العشرين من ديسمبر عام ١٨٧٩ عن ويان جالس في غرفته التي وصفناها في مبدأ هذه القصة يفكر ويفكر فيما نحن بصدد... وبينما هو في لجته أرسل في طلب السجل الخاص بجرائم لومنيتر... فعاد اليه الرسول بمد برهة قائلاً ان قوميسيرا آخر قد بحث في طاب السجل قبله وأعطى له... فانتفض ويان في مقعده وكأنما صعق لهذا الخبر

قليلاً من التفكير

ان اشتغال عدة أشخاص بمسألة واحدة دون اتصال بينهم حقيقى بان يمسد الغاية التي يقصدون اليها بانتهاج كل واحد منهم طريقاً لا بد ان تتعارض في عطفة منها مع الطريق التي يسير فيها الآخر.. وفي كلمة « رئيسان في السفينة يفرقانيها »... وفضلاً عما هو معلوم لدي القاريء من أن ويان كان يعتبر « الرجل » الذي يجب ان يتم اكتشاف أمر عصابة التزييف على يديه ، فان أية خطوة خاطئة قد يتخذها قوميسير غيره من المهتمين بهذه القضية قد تنبه الطائر فيفلت من الفخ الذي يجب أن يجري نصبه له بأحكام فلم يكن بد إذن من وقف مثل تلك الخطوة بأية وسيلة ، وعلى ذلك قرر ويان الالتجاء الى عمل حاسم... واستقر رأيه على القبض على كومان وسبا بنجبرج في التو والساعة... فاستدعى اليه ويرنر وعهد اليه بالمهمة الخاصة بالاول بينما يقوم هو باصطياد الثاني... وتم ذلك

على ان تفتيش منزل سبا بنجبرج لم يسفر عن العثور على ورقة واحدة من الاوراق الزائفة ، وكل ما وجد مما يمكن ان يؤيد الاشتباه فيه زجاجة حبر طبع ازرق ، وبالطبع قد انكر سبا بنجبرج التهمة المعزوة اليه انكاراً باتاً، ونفى معرفته بلومنيتر تعياً قاطعاً ، ثم عاد فاعترف انه يتذكر شخصاً بهذا الاسم عند ما ووجه بسجلات سجن « سبانندو »

ورأى ويان انه اذا لم يتم له القبض على لومنيتر في نفس ذلك اليوم فإنه لا بد فار من وجه العدالة ويوكل أمره إلى مجرد الصدفة

ولما كانت منازل كومان وسبا بنجبرج وغيرهم من المقبوض عليهم

من تلك العصابة تقع جميعها في الحي الشمالي في برلين ، فقد استقر رأيه على
البحث عن لومنيتر في تلك المنطقة

ففي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ذهب ويان في فرقة من عشرين
رجلاً من رجال البوليس السرى وقسمهم إلى عشرة أزواج ، وعهد إلى كل
زوج منهم بالبحث والتنقيب في جميع المساكن في شارع معين

ودقت الساعة العاشرة دون أن تكمل هذه الابحاث بالنجاح ، ولم يبق
امام ويان ووزير الا بضعة منازل في شارع روجنر ، ثم انتصفت الساعة
الحادية عشرة وهما صاعدان درج منزل متاقلان من فرط الأعياء
وسألا بوابة المنزل عن شخص بالوصاف التي يعرفانها فأجابتهما بالنفي . . .
ولكن ابنتها قفزت من مكانها فقاطعت أمها قائلة « لا بد أنهما يسألان عن
الهر وندت يا أماء . . . نعم أيها السادة . . . إن الهر وندت يسكن الشقة
التي في الدور الرابع . . . » فلم ينتظرا حتى تم الفتاة كلامها وكأنما قد
جدد كلامها قوتها المفقودان فجعلتا يقفزان الدرج مثلثا ورباعا حتى وصلا
الى الدور الرابع ، فنقر ويان الباب في لهفة وأعاد النقر ثانية قبل ان يسمع صوت
وقع اقدام من الداخل ، ثم اجابه صوت ناعم سائلا : « من الطارق ؟ » فأجاب
« هياهما . . . افتحوا عاجلا بحق السماء !! »

وما كاد الباب يفتح حتى كانت الرواية قد عمت فصولا ، ذلك ان ويان
ووزير هجما على المزيف الأصلي فطرحاه ارضا ، على انه لم يحاول مقاومة
ولم ينكر جريمته بل اعترف بها في صراحة ، وان شئت فقل وقاراً اكسبه
إعجاب القايض عليه نفسه

وعند محاكمته كان كل همه ان يبري أصحاب البيت الذي كان يقيم
فيه ويحصر التهمة - وقد تم له ذلك - في نفسه وفي سبائجنبرج ، وتبين ان
المرأة التي رآها وزير ليلة رقابته على منزل الفتاة وأمها كانت واسطة -
دون علمها - لتقل الأوراق الزائفة من لومنيتر الى سبائجنبرج في
صندوق مقفل